

نبذة عن حياة الصديقة السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "فاطمة بضعة من مرضي، ومن آذاني فقد آذى

. " ﴿

ولدت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات في
بيت الطهارة والإيمان.

- تمكنت السيدة الزهراء عليها السلام من أن تحوط النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحنان واهتممت
به أشدّ اهتمام حتى لقيها بأم أبيها .

طفولة فاطمة عليها السلام

نشأت فاطمة الزهراء عليها السلام في بيت النبوة ومهبط الرسالة، فكان أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلّمها العلوم الإلهية ويفيض عليها من معارفه الربانية.

وشاءت حكمة الله تعالى أن تعاني هذه الإبنة الطاهرة ما كان يعانيه أبوها من أذى المشركين فيما كان يدعوهم إلى عبادة الله الواحد.

في الخامسة من عمرها فقدت أمها السيدة خديجة، فكانت تلوذ بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بات سلوتها الوحيدة، فوجدت عنده كل ما تحتاجه من العطف والحنان والحب والاحترام، ووجد هو فيها قررة عينه وسلامة أحزانه فكانت في حنانها عليه واهتمامها به كالأم الحنون حتى قال عنها: "فاطمة أم أبيها".¹

هجرة فاطمة عليها السلام □

بعد أن غادر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة متوجهاً إلى المدينة لحق الإمام علي عليه السلام به ومعه الفواطم، ومنهن فاطمة الزهراء عليها السلام، وكان عمرها آنذاك سبع سنوات.

- سادت المحبة والتوفيق بيت علي وفاطمة، لما كان بينهما من تقاسم الأدوار، والقيام بالواجبات.

زواج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام

ما إن بلغت فاطمة الزهراء عليها السلام التاسعة من عمرها حتى بدا عليها كل ملامح النضوج الفكري والرشد العقلي، فتقدّم سادات المهاجرين والأنصار لخطبتها طمعاً بمحاجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه كان يردّهم بلطف معذراً بأنّ أمرها إلى ربّها.

وعندما خطبها علي عليه السلام وافق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووافقت فاطمة على زواجها من

عليه السلام، لأنّه الكفؤ الوحيد لها، كما جاء في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وتمّ الزواج، فباع عليٌ درعه بخمسة درهم لدفع المهر، ولتأثيث البيت الذي سيأويهما عليهما السلام.²

لقد كان هذا البيت المتواضع بأثاثه، غنيّاً بما فيه من القيم والأخلاق والروح الإيمانية العالية، فبات مصاحباه زوجين سعیدین یعيشان الألفة والوئام والحب والاحترام، حتّى قال علیٰ عليه السلام يصف حیا تهمما معاً :

أمراً . لقد كنت أزْظُرُ إليها فتنكشـف عنـي الهموم والأحزان".³

كما يتقاسمان العمل، فلها ما هو داخل عتبة البيت وله ما هو خارجها. وقد أثمر هذا الزواج ثماراً طيبة، الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.

مكانة الزهراء عند الرسول

تعلّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنته فاطمة عليها السلام تعلّقاً خاصاً لمّا كان يراه فيها من وعي وتقوى وإخلاص فأحبّها حباً شديداً، وكان إذا أراد السفر جعلها آخر من يُودّع، وإذا قادم من السفر جعلها أول من يلقي.

وكان إذا دخلت عليه وقف لها إجلالاً وقبلها بل ربّـما قبل يدها. وكان صلى الله عليه وآلـه وسلم يقول: "فاطمةٌ بضعةٌ من آذـها فقد آذـني، ومن آذـاني فقد آذـى الله".⁴

ومع كل ذلك، فقد جاءته يوماً تشكوا إليه صعفها وتعبيها في القيام بعمل المنزل وتربية الأولاد وطلب منه أن يهب لها جارية تخدمها. فلم يستحب لطلبيها، بل استبدل ذلك بأمر آخر، عبد عنه صلى الله عليه وآلله وسلم بقوله: "أعطيك ما هو خير من ذلك"، وعلّمها تسبحة خاصة تُسْتَحَبْ بعد كل صلاة، وهي التكبير أربعاً وثلاثين مرّة، والتحميد ثلاثة وثلاثين مرّة، والتسبيح ثلاثة وثلاثين مرّة، وهذه التسبحة عُرِفت فيما بعد بتسبحة الزهراء. هكذا يكون البيت النبوي، حيث إنّه يتဂاول الأمور

الماديّة، ويعطي الأهميّة للأمور المعنويّة ذات البعد الروحيّ والأخرويّ.

- إنّ اهتمام الرسول بفاطمة كان لما لها من صفات خاصّة، كما كان ذلك منه بياناً لمكانتها عند الله، وليس لأجل الدنيا الفانية.

أسماء فاطمة عليها السلام

عُرِفت السيدة فاطمة عليها السلام بأسماء عديدة تُعبّر عن كمالها ومقامها، ومن هذه الأسماء:

* الزهراء: وقد عَلِم الإمام الصادق عليه السلام تسميتها بالزهراء بـ "أنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ" لقها من نور عظمته فلمّا أشرقت أضاءت السماوات والأرض بنورها⁵.

* الحوراء: وهذا الاسم يعود لانعقاد نطفتها من ثمار الجنّة، كما في الرواية عن أبيها الأكرم صلى الله عليه وآلها وسلم: "أخذ جبرائيل بيدي وأدخلني الجنّة وأدناني من شجرة طوبى"، ويتابع النبي صلى الله عليه وآلها وسلم حديثه بأذنه أكل فاكهة هذه الشجرة المباركة وعند عودته إلى الأرض انعقدت نطفة فاطمة عليها السلام من تلك الفاكهة، وكان يقول: "فاطمة حوراء إنسية، كلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتُها".⁶

* المحمدّة: لأنّها كانت تحدّث أمّها وهي جنinin في بطنهما، ولأنّها كانت تُحدّث المسلمين بأحاديث أبيها النبيّ صلى الله عليه وآلها وسلم وما أفاده الله عليها من علمه.

* المحمدّة: لأنّ ملائكة الله تعالى كانت تحدّثها، حتّى ورد إخبارهم لها أنّها سيدة نساء العالمين، مقارنين بينها وبين مريم بقولهم: "إنَّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلك سيدة نساء عالمك، وسيدة نساء عالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين"⁷، وقد ورد أيضاً أنَّ جبرائيل عليه السلام كان يأتيها بعد وفاة أبيها يُسلّيها ويُخبرها بأخبار الغيب، فأخبرت عليهما السلام أمير المؤمنين عليه السلام بذلك، فسمع ما يخبرها به جبرائيل صلى الله عليه وآلها وسلم عن مقام أبيها، فكتب ما سمع في كتاب سُمِّي بـ "مصحف فاطمة" أي كتاب فاطمة.

* الزكير^ة: أفلحت بتركية نفسها فكانت عليها السلام تصلّي وتطيل القيام حتّى تثور^م قدماها، وكانت عليها السلام حينما تقوم إلى الصلاة تتغيّر معالّمها من خشية اهـ، وقد عَرَف ذلك عنها القريب والبعيد. حتّى قال الحسن البصري "ولم يكن في الأمّة أعبدُ من فاطمة عليها السلام".

* الشهيدة: بدأت مظلوميّة السيدة الزهراء عليها السلام تتعاظم مع وفاة أبيها النبي^{صلى الله عليه وسلم} فقد شاهدت بأمّ عينها محاولة هدم بنيان الإسلام الشامخ الذي بناه أبوها صلى الله عليه وآلله وسلم بمعاناة فاقت كلّ المعاناة، فانحرف القوم عن الخلافة الإلهيّة المتمثّلة بولايته على^{هـ} عليها السلام، وتحرّكوا على إيداع بقعة النبي صلى الله عليه وآلله وسلم، وهي تدافع عن مقام الولاية الأعظم ما أدى إلى شهادتها بعد حزن طويل.

أرادت عليها السلام أن تكتب في التاريخ وعلى مدى الأجيال، رسالتة حقّ خالدة تشهد على ما جرى بعد وفاة أبيها، فأوصت أن تُدفن سرّاً، ليكون قبرها المجهول علامه دائمة على الحقّ المُغْتصب.

مقام الزهراء عليها السلام يوم القيمة

عن أبي جعفر محمد بن علي^{الباقر عليه السلام} قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري ^{يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم: إذا كان يوم القيمة تُقْبَلُ ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنّة مدججة (مزيّنة) الجنين، خطّ لها من لؤلؤ رطب، قوائمه من الزمرّد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتان حمراوان، عليها قبة من نور يُرى طاهرا من باطنها، وباطنها من طاهرا، داخلها عفو الله، وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كلّ ركن مرصّع بالدرّ والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدرّي ^{في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك، وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل آخذ بخطام النّاقفة، ينادي بأعلى صوته: غصّوا أبصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمد^{هـ}. فلا يبقى يومئذ^{هـ}نبي^{صلى الله عليه وسلم} ولا رسول ولا صديق ولا شهيد، إلّا غصّوا أبصارهم حتّى تجوز فاطمة بنت محمد^{هـ}، فتسير حتّى تهادي عرش ربّها جلّ جلاله، فتنجز^{هـ} بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي، احكم بيني وبين من ظلمني، اللّهم احكم بيني وبين من قتل ولدي.}}

فإذا النداء من قبل^{هـ} جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبتي، سليني تعطّي^{هـ}، واسفعي تشفعي، فوعزّت^{هـ}ي وجلالي لا جازني ظلم طالم^{هـ}. فتقول: إلهي وسيدي، ذريّتي، وشيعتي، وشيعة ذريّتي، ومحبّي

ذریّتی. فإذا النداء من قبل اهـ جلـ جلاله: أین ذریّة فاطمة وشیعتها ومحبّوها ومحبّ ذریّتها؟
فیُقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتتقدّمهم فاطمة حتّی تُدخلَهُم الجنّة. 8.

- 1- شرح إحقاق الحقّ، السيد المرعشی، ج25، ص29.
- 2- فكان أن بسط أرض الحجرة بالرمل ونصب عوداً لتعلّق به القربة واشترى جرةً وكوزاً، وبسط فوق الرمل جلد كبش ومخدّة من ليف.
- 3- بيت الأحزان، الشيخ عباس القمي، ص53.
- 4- علل الشرائع، الصدوق، ج1، ص187.
- 5- علل الشرائع، ج1، ص180.
- 6- الغدير، الأميني، ج3، ص18.
- 7- علل الشرائع، ج1، ص182.
- 8- الأمالی، الشيخ الصدوق، ص 69 - 70 .